جامعة القاهرة
كلية الآثار
قسم الآثار الإسلامية

النقوش الكتابية الإسلامية الباقية في الساحل الشرقى الإفريقى حتى القرن السادس الهجرى/١٢ م

"دراسة آثارية فنية مقارنة".

رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية

إعـداد

أمانى محمد طلعت إبراهيم خلف

المعيد بقسم الآثار الإسلامية

كلية الآثار – جامعة القاهرة

إشـراف

أ.د. محمد حمزة إسماعيل الحداد

أستاذ الآثار والفن الإسلامي والحضارة الإسلامية

ووكيل كلية الآثار لشئون التعليم والطلاب

كلية الآثار – جامعة القاهرة

مشرفاً

د. شبل إبراهيم عبيد

أستاذ الكتابات والآثار الإسلامية المساعد

كلية الآثار – جامعة القاهرة

مشرفاً مشاركاً

المجلد الأول

القاهرة

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
العَلِيمُ الحَكِيمُ

صدق الله العظيم

سورة البقرة، الآية (٣٢)

تـــمـهـــــيد

جغرافية شرق أفريقيا:

يقع إقليم شرق أفريقيا بين المحيط الهندي شرقاً، والذراع الغربي للأخدود الأفريقي غرباً، وفيما بين دائرتي عرض ٢/١ ٤° شمالاً، ١٢° جنوباً[١]، ويشمل منطقتين: منطقة القرن الأفريقي، ومنطقة الساحل الشرقي للقارة، والجزر المواجهة لهذا الساحل، وتضم هذه المناطق البلدان التالية: إريتريا وجيبوتي وإثيوبيا والصومال وكينيا وأوغنده وتنزانيا وموزمبيق، وجزر المحيط الهندي كجزيرة بمبا وزنجبار ومافيا وجزر القمر ومدغشقر وممبسة وكلوه[٢]. فضلاً عن جزر أرخبيل دهلك في البحر الأحمر، الأشكال أرقام: (١)، (٢).

ويعد شرق أفريقيا إقليماً هضبياً يوجد به ثلاثة من أعلى جبال أفريقيا كلمنجارو (٥٩٥٠م) وكينيا (٥٢٤٨م) ورونزوري (٥١٣٦م)؛ مما كان له عظيم الأثر في حدوث عمليات رفع قاريه[٣] ونشاط تكتوني[٤] وتعرية[٥] وطفوح بركانية[٦] تعرض لها الإقليم منذ الزمن

---

(١) أبو عيانة، فتحي محمد، جغرافية أفريقيا دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م، ص٤٥٣.

(٢) عبد الحليم، رجب محمد، العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية من ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية، القاهرة–١٩٩٩م، ص١٣.

(٣) الرفع القاري أو "الرصيف القاري" أو "حافة القارة": هو ذلك الجزء المحيط بالقارات ويغطيه ماء البحر على عمق ضحل لا يتجاوز في معظم الأحوال أكثر من مائة قائمة أو ٢٠٠ متر وربما أقل، ومن ثم فهو يأخذ شكل رصيف ينحدر تدريجيًا من الساحل إلى أسفل، وكثيرًا ما يختلف في عرضه إذ يصل في بعض الأماكن إلى ١٠٠كيلو متر أو أكثر. وكلما كان الرصيف عريضًا كلما كانت زاوية الانحدار قليلة. وحيث يكون الساحل جبليًا يكون الرصيف عادة ضيقًا ويكون الانتقال سريعًا من الأرض المرتفعة إلى المياه العميقة... والواقع أن الرصيف قد يتكون بفعل ارتفاع مستوى سطح البحر أو هبوط مستوى سطح الأرض أو بحت حافة اليابس بفعل البحر أو بإرسال المواد الصلبة تحت الماء بواسطة الأنهار أو ما إلى ذلك. (توني، يوسف، معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٢٤١).

(٤) التكتونية أو "الباطنية" أو "البنيوية": جميع المعالم البنيوية التي تطرأ على الصخر من الطي والتصدع والتفلق وتنشأ هذه المعالم من تأثير الحركات الأرضية البسيطة والبانية للجبال. (مدكور، إبراهيم، معجم الجيولوجيا، ط٢، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة– ١٩٨٢م، ص٣٨٨).

(٥) التعرية: تأثر وظهور صخور القشرة الأرضية بالعوامل الطبيعية كالحرارة والماء والهواء وإزالة الفتات من عليها. (مدكور، معجم الجيولوجيا، ص١٢٤).

(٦) طفح بركاني أو "لافا" أو "حمم": كلمة إيطالية في الأصل، ويقال أنها اشتقت من "لابة" كلمة عربية وجمعها "لابات"، وهي صخور منصهرة أو صهير اندفع من داخل الأرض إلى سطحها عن طريق فوهة البركان أو عن طريق شقوق في جوانبه وقد تتصلب هذه المواد المنصهرة بسرعة على السطح لملامستها الهواء، فيكون

الثالث(الأيوسين) [١]، ولعل أهم الظاهرات به هو الأخدود الأفريقي العظيم[٢] بذراعية الشرقي الرئيسي الذي يخترق أثيوبيا وبحيرة توركان ثم يعبر وسط كينيا وتنجانيقا حتى ملاوي[٣].

هذا وقد اتخذ حوض البحر الأحمر إطاره وشكله الحاليين خلال الزمن الجيولوجي الرابع(البلايستوسين) [٤] الذي نشطت خلاله عوامل التعرية الهوائية والمائية مما أدى إلى ظهور السهول الرسوبية[٥] التي كونتها نهر النيل في مصر والسودان وأثيوبيا، ونهرا شبيلي وجوبا في الصومال، كما ينتمي إلى الزمن الرابع الشعاب المرجانية في البحر الأحمر والرواسب التي تملأ الأودية الجافة في النطاقات الصحراوية، إلى جانب الكثبان الرملية. وتم تكوين البحر الأحمر وخليج عدن ومضيق باب المندب وخليج العقبة والنطاق المنخفض الممتد إلى الشمال منه والذي يمثله غور الأردن خلال هذا الزمن، وقد أسهم اتساع إقليم البحر الأحمر، وتعدد الأحداث الجيولوجية التي تعرضت لها نطاقاته المختلفة خلال الأزمنة والعصور الجيولوجيه المختلفة في تباين التركيب الجيولوجي فيه واختلاف خصائص هذا التركيب[٦].

وتتكون مساحات واسعة من حوض البحر الأحمر من صخور الزمن الأركي (ما قبل

=نسيجها زجاجيًا أو غير متبلور وقد تبرد ببطء وفي هذه الحالة يكون نسيجها بلوريًا أو خشنًا. (توني، معجم المصطلحات، ص ص٤٢٤-٤٢٥) .

(١) الأيوسين: أول عصور الزمن الثالث أو "زمن الحياة الحديثة" والاصطلاح مركب من الإغريقية Eos بمعنى "فجر" فيصبح التركيب "فجر الحياة الحديثة" وتمتاز أراضيه بقلة الرخويات وكثرة النيومولیت. ولقد ازدهرت الثدييات في هذا العصر وتقدر المدة التي استغرقها بنحو ٢٥ مليون سنة. (توني، معجم المصطلحات، ص ٥٩).

(٢) الأخدود: وادي تكون بهبوط الأرض بين انكسارين متوازيين تقريبًا وهو عادة طويل جدًا بالنسبة لعرضة ويمتاز عامة بشدة انحدار جوانبه. ويسمى "الأخدود" أحيانًا باصطلاحات أخرى منها "الوادي الانكساري" أو "حفرة الانهدام" أو "غور الانهدام" أو "الغور". (توني، معجم المصطلحات، ص ١٠).

(٣) أبو عيانة، جغرافية أفريقيا، ص٤٥٥.

(٤) أول عصور الزمن الرباعي أو الزمن الرابع. والاصطلاح مركب من الإغريقية بمعنى "أكثرية من الحياة الحديثة". وقد تمكنت الأنهار الكبرى من هذا العصر من إنهاء حفر وديانها. (توني، معجم المصطلحات، ص٨٤).

(٥) السهل الرسوبي أو "السهل النهري" أرض منبسطة تحف بالنهر وتغطيها الرواسب النهرية، وهي إما "سهل فيضي" أو "دلتا".(توني، معجم المصطلحات، ص ٢٨٣).

(٦) الزوكه، محمد خميس، جغرافية حوض البحر الأحمر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص٩٩.

الكمبري) [١] التي غمر بحر تثس القديم[٢] نطاقات واسعة منه خلال العصور الجيولوجية المختلفة، وتشكل صخور هذا الزمن–الأركي–القاعدة التي ترسبت فوقها التكوينات الجيولوجية الأحدث وخاصة أنها صخور نارية ومتحولة تتصف بالصلابة، لذا تختفي هذه الصخور–القاعدية–ولا تظهر على السطح إلا في نطاقات ضيقة، ويعد الجرانيت والنيس والشست والبازلت والديوريت أهم الصخور القاعدية ذات الموارد المائية المحدودة لطبيعتها الصماء[٣].

بالإضافة لذلك فقد انتشرت في منطقة الساحل أنماط مختلفة من التربة منها: التربة الرسوبية الفيضية النهرية المنتشرة في الأودية النهرية وأولها نهر سيتيت الذي يبدأ في هضبة أريتريا ثم يخترق هضبة الحبشة باسم نهر تكازي ويجري بعد ذلك نحو الشمال الغربي في سهول السودان ليصب في النيل الرئيسي باسم نهر عطبرة، والتربة السبخية الجيرية التي تظهر حول الخلجان الساحلية المتعمقة على طول الشريط الساحلي للبحر الأحمر، وتربة الجزر الشاطئية أمام ساحل البحر الأحمر وهي تربة جيرية تختلط بها تفتتات قوقعية، والتربة المفتتة محلياً، وهذه تنتشر في مناطق متعددة في كل الإقليم وتختلف في تركيبها وفقاً لطبيعة الإشتقاق الصخري وهي تربة جيرية على طول الشريط الساحلي، وأيضاً تربة الأودية والدلتاوات الجافة، وهذه تمثل نوعًا من التربة الرسوبية التي تنقلها مياه السيول وترسبها في جوانب هذه الأودية وفي نهاياتها على شكل دلتاوات أو مراوح دلتاوية، وهي تربة غنية بعناصرها من بقايا عضوية نباتية وحيوانية وتفتتات صخرية معدنية، وأخيراً التربة البركانية التي تتمثل في مناطق النشاط البركاني القديم على طول الحافات الأخدودية لحوض البحر الأحمر حيث تفتت تكوينات اللافا في تربة غنية بالعناصر المعدنية وهي تمتاز بعمق قطاعها واعتدال نسيجها وسميت عند العرب "بتربة الحرات" وتظهر في الحجاز والعسير واليمن من الجانب الأسيوي لحوض البحر الأحمر وعلى الجانب

---

(١) الزمن الأركي: تطلق هذه التسمية على كل الفترات التي تسبق الزمن الأول أو زمن الحياة القديمة. ويقدر عمره بنحو ١٥٠٠ مليون سنة ويعد الزمن الأركي أول أزمنة التاريخ الجيولوجي، ولصخور ذلك الزمن أهمية اقتصادية كبرى فهو يحتوي على أغنى مناجم العالم بالذهب. (توني، معجم المصطلحات، ص٢٤).

(٢) بحر تثس: اسم بحر قديم كان يفصل بين قارات انجارا وأركتس في الشمال وقارة جندوانا في الجنوب فكان يشغل مساحة هائلة تضم جزء كبير من شمال أفريقيا ومعظم أوروبا حتى وسط أسيا، ولم يبق منه في الوقت الحاضر سوى البحر الأبيض المتوسط بأذرعة المختلفة وبحر قزوين وبحر آرال. (توني، معجم المصطلحات، ص ١٠٠).

(٣) الزوكه، جغرافية، ص١٠٠.

الأفريقي تظهر هذه التربة في شمال وغرب شبه جزيرة سيناء وفي مناطق متناثرة من حافة الأخدود في أريتريا[١].

الهجرات العربية وغير العربية إلى شرق أفريقيا:

شهدت منطقة أفريقيا الشرقية عدداً كبيراً من الهجرات، التي كان جلها عربي الأصل، وبعضها آتى من بلاد آسيوية غير عربية، والبعض الآخر آتٍ من بين الأفارقة أنفسهم[٢].

وعند الحديث عن الهجرات العربية إلى ساحل شرق أفريقيا نستطيع القول بأن معرفة العرب لهذه المنطقة لم يكن وليد الإسلام، فمنذ أقدم العصور جاءت جماعات عربية من شبه جزيرة العرب واستقرت في هذه المناطق الأفريقية وأصبح لهم تبادل تجاري مع السكان الأفارقة[٣].

وقد ساعد على ذلك عوامل الجوار والتوجيه البحري والتجاري[٤]. وحينما أشرقت شمس حضارة الإسلام أصبح لدى العرب دوافع جديدة–غير العامل التجاري–لمحاولة الاستقرار الدائم في سواحل أفريقيا الشرقية وإقامة إمارات عربية إسلامية[٥]. انتشرت على طول الساحل الشرقي من خليج عدن حتى مدار الجدي، في المنطقة التي أطلق عليها جغرافيو العرب إسم "برالزنج"[٦] وكانت بطبيعة الحال مستقلة إحداها عن الأخرى وتشبه إلى حد كبير المدن الحرة التي أنشأها اليونانيون والفينيقيون

---

(١) حسن، محمد إبراهيم، الشرق الأوسط وحوض البحر الأحمر "دراسات في المقومات الجغرافية وآثارها في التنمية الزراعية ومصادر المياه والتلوث البيئي"، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د.ت، ص ص ٥٠-٥٤.

(٢) عبد الحليم، العروبه، ص٤٤.

(٣) الجمل، شوقي عطا الله، دور العرب الحضاري في شرق أفريقيا في القرنين الـ ١٦-١٧، ندوة رأس الخيمة التاريخية الأولى بعنوان: الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق أفريقيا، سلسلة الندوات التاريخية، (١)، مركز الدراسات والوثائق، الإمارات، ٥-٧ محرم ١٤٠٨هـ/٢٩-٣١ أغسطس ١٩٨٧م، ص١٤١.

(٤) قاسم، جمال زكريا، الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الأوروبي في القرن الخامس عشر، العلاقات العربية الأفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧م، ص٩.

(٥) أمين، محمد محمد، العرب والدعوة الإسلامية في الصومال في العصور الوسطى الإسلامية، مجلة الداره، العدد الثاني، السنة العاشرة، الرياض–السعودية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص١١٢.

(٦) حسن، حسن إبراهيم، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٢٧.

في جهات مختلفة من البحر الأبيض المتوسط[١].

وثمة ملاحظة جديرة بالذكر ذلك الدور الذي لعبته هذه المدن في الاتجار في منتجات داخل القارة ووسطها، وكذلك في منتجات الهند والشرق الأقصى[٢]. مما كان له عظيم الأثر في انتشار الإسلام والحضارة الإسلامية بين هؤلاء الأفارقة[٣].

أما عن الهجرات غير العربية فنلاحظ أنه قدم أيضاً إلى منطقة شرق أفريقيا أجناس أخرى مسلمة غير الأجناس العربية[٤]. من هذه هجرة جماعة من المهاجرين الفرس من أهل شيراز كانت بزعامة الحسين بن على وأبنائه الستة طبقاً للرواية العربية لحوليات كلوه، أو على بن الحسن طبقاً لرواية المؤرخ البرتغالي جواس دي باروس (Joas de Barros) وذلك سنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م) [٥].

وقد قيل عن سبب خروج هذه الهجرة أن عليًّا كانت أمه جارية فاحتقره إخوته، وعيروه وعاملوه معاملة قاسية جعلته يُصر على الهجرة إلى ساحل شرق أفريقيا مع أبنائه ولذلك أبحر من جزيرة هرمز في سبع سفن، ونزلوا في عدة أماكن على الساحل الشرقي متجنباً مقديشيو التي ينتمي سكانها إلى المذهب السني المخالف لمذهبه[٦].

وانحدر بسفنه جنوباً بطول الساحل حتى نزل في كلوه واتخذها مقراً له وصارت بذلك عاصمة لدولة الزنج التي أسسها على طول الساحل من بمبا في الشمال إلى سفاله في الجنوب[٧].

وعلى الرغم من هذه الهجرة الفارسية، فإنه لم ينته القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إلا وكانت مدن الساحل قد استكملت سماتها العربية وقد ساعد على ذلك الهجرات العربية المتوالية التي طمست المعالم الفارسية بها وحولتها إلى مدن عربية صرفه، وهذه المدن

---

(١) يحيى، جلال، العرب في شرق إفريقية، مجلة نهضة أفريقيا، العدد ٢٢ سبتمبر، ١٩٥٩م، ص٩.

(٢) يحيى، العرب، ص٩.

(٣) عبد الحليم، العروبه، ص٤٩.

(٤) يحيى، العرب، ص٨.

(٥) أمين، محمد محمد، تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى، العلاقات العربية الأفريقية "دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة"، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧م، ص٤٩.

(٦) الحويري، محمود محمد، ساحل شرق أفريقيامن فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٢٩؛ عبد الحليم، العروبة، ص٥٥.

(٧) أمين، تطور العلاقات، ص٤٩؛ الحويري، ساحل، ص٢٩.

من الشمال إلى الجنوب مقديشيو، براوه، قسمايو، بات، لامو، زنجبار، موفيه، كلوه، موزمبيق، سفاله[١].

دوافع الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا:

مما لا شك فيه أن هجرة العرب من شبه الجزيرة العربية واستقرارهم في الساحل الأفريقي المقابل للجزيرة العربية قد حدث بهدوء دون اللجوء للقوة أو العنف، فالتاريخ لا يذكر لنا حروباً أو معارك وقعت بين المهاجرين العرب والسكان الأصليين من أهل المنطقة[٢].

ويبدو أن التجارة هي الغرض الأساسي الذي دفع العرب إلى الإبحار لهذه المنطقة في عهود غابرة من القدم من أجل تبادل السلع التجارية مع سكان المنطقة[٣]. لهذا لم تقم هذه الجماعات العربية بامتلاك الأراضي إلا بالقدر الذي يسمح لها بحماية الثغر التجاري، لذا كانت رقعة الممالك العربية على الساحل الأفريقي ضيقة[٤].

وقد ساعد في تنمية هذه الصلات بين شبه جزيرة العرب وشرق أفريقيا عدة عوامل أهمها:

أولاً: العامل الجغرافي:

لعب عامل القرب الجغرافي دوراً بارزاً في انتقال الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا[٥]. فجزيرة العرب وخاصة الأجزاء الجنوبية منها مثل اليمن وحضرموت وعمان أقرب البلدان إلى

---

(١) أمين، تطور، ص٤٩.

(٢) المالكي، سليمان عبد الغني، دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا، ضمن ندوة العرب في أفريقيا، الجذور التاريخية والواقع المعاصر، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص١٢٦؛ الجمل،= شوقي عطا الله، وإبراهيم، عبد الله عبد الرازق، تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٤.

(٣) الشيخلي، صباح إبراهيم، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق أفريقيا كما يعكسها البلدانيون العرب في العصر الوسيط، الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق أفريقيا، ضمن ندوة رأس الخيمة التاريخية الأولى ٥-٧ محرم ١٤٠٨هـ/٢٩-٣١أغسطس ١٩٨٧م، ص٣٤١.

(٤) المالكي، دور العرب، ص١٢٦؛ الجمل، تاريخ المسلمين، ص٥.

(٥) الجبوري، عصام محسن على، العلاقات العربية الأفريقية ١٩٦١-١٩٧٧، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ايلول ١٩٧٨، ص٣.

منطقة القرن الأفريقي وساحل أفريقيا الشرقي، ولا يفصل بينهما إلا مضيق باب المندب[١]. وإذا علمنا أن المسافة بين زنجبار وعدن لا تتجاوز ١.٧٠٠ ميلاً وبين زنجبار ومسقط ٢.٢٠٠ ميلاً تقريباً لأدركنا أن الامتداد العربي إلى هذه المناطق كان شيئاً طبيعياً. فالقبائل القريبة من الساحل الأفريقي الشرقي أو كما عبر عنها كوبلاند (Coupland) بالجيران (Next Door Neighbours) كان لابد لها أن تمد نشاطها وتجارتها، وتنقل حضارتها إلى سواحل أفريقيا الشرقية [٢].

ثانياً: العامل المناخي:

هناك عامل طبيعي آخر عمل على تيسير الاتصال البشري بين العرب القاطنين في الجزيرة العربية وبين سكان السواحل الشرقية لأفريقيا[٣]. يتمثل هذا العامل في الرياح الموسمية (التجارية)، ففي شهر ديسمبر تهب رياح تجارية متجهة نحو الشمال الشرقي وتظل تهب حتى آخر فبراير، ثم ينعكس هبوبها جهة الجنوب الغربي وذلك من شهر إبريل إلى شهر سبتمبر من كل عام، ومعنى هذا أن هذه الرياح تحمل أهل زنجبار إلى سواحل الهند ثم تحمل أهل الهند إلى ساحل زنجبار عن طريق ساحل جزيرة العرب الجنوبي ومضيق عدن[٤]. والتجار الذين يركبون سفنهم الشراعية من الشاطئ العربي في الشتاء يستعينون بقوة الرياح المواتية في سفرهم جنوباً صوب الساحل الأفريقي، أما في أثناء عودتهم لأوطانهم في الربيع –بعد أن يقضوا بضعة أشهر في التجارة– تحملهم الرياح مرة أخرى صوب وطنهم الأصلي، وبمرور الوقت أصبحت لدى البحارة والتجار العرب خبرة تامة بمواقيت الرياح واتجاهاتها وأصبحت رحلاتهم من شبه الجزيرة إلى الساحل الأفريقي، ومدة استقرارهم بهذا الساحل تنظم تنظيماً دقيقاً تبعاً لمواسم الرياح المنتظمة المعروفة لهم[٥].

ثالثاً: العامل الاقتصادي:

يعد هذا العامل من الأسباب الرئيسية التي دفعت سكان السواحل العربية للخروج من شبه الجزيرة العربية. فجزيرة العرب في ظهيرها طاردة بسبب طبيعتها الصحراوية الجرداء[٦].

---

(١) عبد الحليم، العروبه، ص١٨.

(٢) المالكي، دور العرب، ص١٢٢؛ الجمل، تاريخ المسلمين، ص٣.

(٣) حسن، انتشار الإسلام، ص٢٦؛ الجمل ، تاريخ المسلمين، ص٣.

(٤) حسن، انتشار الإسلام، ص٢٦.

(٥) الجمل، تاريخ المسلمين، ص٤.

(٦) المالكي، دور العرب، ص١٢٢.

وقد شبهها البعض بأنها أشبه بكأس من الماء كلما زدناه امتلاءً، فاض الماء وسال على أطرافه إلى مالا نهاية، فالموارد الطبيعية في المناطق غير الخصبة في مرحلة الاقتصاد الرعوي كانت تبقي على ما هي عليه في حين تزداد الحاجات الاقتصادية للسكان نتيجة التكاثر، فيندفع البدو الرحل وراء الإبل والماشية حتى يصلوا إلى الأراضي الأفريقية[١].

ولأن سكان جنوب شبه الجزيرة العربية (العمانيون والحضارمة) على وجه الخصوص قد نشأوا في بيئة بحرية مثالية في جنوب الجزيرة العربية، فكان من الطبيعي أن يولوا وجوههم شطر البحر والتجارة مع الدول المطلة على المحيط الهندي في آسيا وأفريقيا، وبمضي الوقت – ومع تكاثر أعدادهم– تسللوا في مجموعات صغيرة إلى شرق أفريقيا منتشرين أولاً في بعض الجزر الساحلية – بمبا وزنجبار– وفي المراكز الساحلية مثل سفالة ومالندي وكلوه وممبسه ودار السلام[٢].

وبالإضافة إلى ذلك يعتقد كثير من المؤرخين الذين كتبوا عن هذه المنطقة أن انهيار سد مأرب[٣]. قد تسبب في جلب الفقر إلى مشرق اليمن وتفريق شمل القبائل العربية التي كانت

---

(١) أحمد، صالح أبو بكر، العلاقات العربية الأفريقية دراسة تحليلية للفترة من عام ١٩٧٣ حتى ١٩٩١م، رسالة ماجستير، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات السياسية، عام ١٩٩٧م، ص٢٠.

(٢) المالكي، دور العرب، ص١٢٢.

(٣) بنى هذا السد "سمهُ على ينوف بن ذمار" الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد (حوالي ٦٦٠–٦٦٢ق.م)، وعن سبب بناء سد مأرب فيرى البعض أنه بُني نتيجة لذلك الخلاف الذي نشب بين السبئيين حول مياه وديانهم، فسُد الوادي بواسطة عرم وهي كلمة حميرية تعني سد. وسدت الطريق بين الجبلين بكتل من الأحجار والقار، وأحدثت به ثلاثة مذاخر "أهوسة" فوق بعضها، وخلف ذلك شيدت حوضاً للمياه به اثنتا عشرة فتحة وهو عدد أنهارهم الصغيرة، وكان يفتح أحد الأهوسة عندما يحتاجون للمياه، ويُغلق ثانية عندما يرتوون. وعندما تسقط الأمطار تجتمع إليه وديان اليمن. وتحجز مياه الفيضانات خلف السد، وكانت المياه التي يحجزها السد لا تنضب حتى تأتي المياه الجديدة في العام القادم، فضلاً عن ذلك فقد حدث في الفترة الممتدة من القرن الرابع قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي أن جرفت السيول السد مرات عديدة فأحدثت عدة انهيارات به، وقع آخرها قبل ظهور الإسلام، وقبلها مرة في مدة حكم الملك شرحبيل (حوالي ٤٥٠م) والمرة الثانية والأخيرة في فترة حكم أبرهة في (٥٧٠م). وقد حدثت أغلب هذه الإنهيارات نتيجة إما للسيول الجارفة أو إلى حدوث بعض الهزات الأرضية.

وفيما يلي ذكر لبعض الآبيات من شعر الأعشي تشير لسد مأرب وتدميره.

ففي ذلك للمؤتسي أسوة ومأرب قفّا عليهم العرم

رخام بناه له حمير إذا جاءه ماؤهم لم يرم

فأروى الحروث وأعنابهم على ساعة ماؤهم ينقسم.

(فخري، أحمد، رحلة أثرية إلى اليمن، ترجمة: هنري رياض، ويوسف محمد عبد الله، مراجعة: عبد الحليم نور الدين، وزارة الإعلام والثقافة، مشروع الكتاب ٢/٢١، اليمن، ١٤٠٩هـ–١٩٨٨م، ص ص ٨٩–٩٦).

تعيش هناك، فهاجرت خارج اليمن متجهة نحو الساحل الشرقي لأفريقيا بحثاً عن مأوى ومصدراً آخر للرزق[١].

من كل ذلك نخلص إلى القول بأن تلك الجماعات العربية المهاجرة قد وجدت في سواحل إريتريا والصومال ملاذاً من ظروف حياتهم الصعبة ومصدراً لكسب الرزق من خلال المتاجرة والعيش في ربوع تلك البقاع[٢]. لذا كان الاستقرار على الساحل فقط وفي نقط مختارة تخدم هذا الدافع التجاري[٣]. وبظهور الإسلام أخذت الهجرات العربية تفد إلى الساحل الشرقي الأفريقي بغية الاستقرار الدائم وإقامة كيانات سياسية وإسلامية[٤]. ولا شك أنه كان للمنازعات الدينية والسياسية التي ثارت بين المسلمين وبخاصة في عهد الدولتين الأموية والعباسية أثر كبير في هجرة بعض الجماعات العربية من مواطنها الأصلية واستيطانهم في ساحل أفريقيا الشرقي الذي ألفوه من قبل بالتبادل التجاري مع مدنه وموانئه[٥].

أسماء الهجرات العربية:

ومن أهم الهجرات العربية إلى منطقة القرن الأفريقي وسواحل أفريقيا الشرقية ما يلي:

١- هجرة جماعة من بلاد الشام (٦٥هـ/٦٨٤م):

تعد أولى الهجرات العربية إلى ساحل شرق أفريقيا. وقد قامت بها جماعة من أهل الشام الذين لم يرضوا عن سياسة الحجاج بن يوسف، فرحلوا سنة (٦٥هـ- ٦٨٤م) إلى الجنوب في أعداد وفيرة حتى وصلوا إلى الساحل الشرقي الأفريقي، واستطاعوا إخضاع السكان الأصليين واقتحام ميناء (ديوني) الحصين، وكانت به آنذاك جالية تزيد عن عشرة آلاف من الرجال

---

(١) فخري، رحلة، ص٩٦؛ المالكي، دور العرب، ص١٢٣.

(٢) الجبوري، العلاقات، ص٦٦.

(٣) الجمل، تاريخ المسلمين، ص٥.

(٤) أمين، تطور العلاقات، ص٤٦؛ الحويري، ساحل، ص١٩؛ المالكي، دور العرب، ص١٢٧.

(٥) قاسم، جمال زكريا، استقرار العرب في ساحل شرق أفريقية، حوليات كلية الآداب، بجامعة عين شمس، المجلد العاشر، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٦٧م، ص٢٨٥؛ الروابط، ص١٣؛ المالكي، دور العرب، ص١٢٧؛ خلف الله، محمد أحمد، الجذور التاريخية للعلاقات بين العرب والأفارقة، ضمن كتاب العرب والدائرة الأفريقية، سلسلة كتب المستقبل العربي (٤٥)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أغسطس ٢٠٠٥م، ص ص ١٤-٢١.

المسلمين[١].

٢- هجرة سليمان وسعيد ابني الجلندي (٧٥-٨٥هـ/٦٩٤-٧٠٤م):

ولعل هذه هي الهجرة الثانية التي وفدت إلى شرق أفريقيا. حينما قام قسم من قبيلة الأزد العمانية تحت زعامة سليمان وسعيد ابني عباد الجلندي بثورة ضد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م) وذلك على إثر إتباعه لسياسة قبلية في شبه الجزيرة العربية استعان فيها ببعض القبائل على البعض الآخر[٢]. وذلك من أجل البطش والتنكيل بالقائمين بالحركات المناوئة للدولة الأموية فسَّير إليهما الخليفة جيشاً ليقاتلهم بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي، واستطاع الثائرون التغلب في بادئ الأمر ثم ما لبثت أن تغلبت عليهم قوات الحجاج سنة (٧٥هـ/٦٩٤م) فاضطروا إلى الفرار للخلاص بحياة رجالهم تاركين موطنهم الأصلي وهاموا في جمع أسرهم وقبائلهم، وأبحروا شطر الساحل الأفريقي ولا يُعرف بالتحديد المكان الذي نزلا فيه، وإن كان من المحتمل أن يكونا قد نزلا في (بات) (Pate) في أرخبيل لامو في كينيا حالياً[٣]. أو في مدينة (حدابو) التي أسسوها شمال مدينة ممبسة[٤].

---

(١) النقيرة، محمد عبد الله محمد، انتشار الإسلام في شرقي أفريقياومناهضة الغرب له، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٤/١٩٧٥م، ص ص٥٠ - ٥١؛ عبد الحليم، العروبه، ص٥٠.

(٢) قاسم، استقرار العرب، ص٢٨٧؛ الروابط، ص١٦؛ الحويري، ساحل، ص ص٢٠ - ٢١؛ ابن جريس، غيثان بن على، الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقيافي العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجري، (إصدارات مركز البحوث التربوية بأبها، ٥)، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص١٦.

(٣) زكي، عبد الرحمن، بعض المدن العربية على ساحل أفريقياالشرقي في العصور الوسطى، مجلة الجمعية الجغرافية المصرية، الموسم الثقافي، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٧٩، ٨٠؛ الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الحادي والعشرون، ١٩٧٤م، ص٣٨؛ قاسم، استقرار العرب، ص٢٨٦، ٢٨٧، الروابط، ص١٦؛ النقيره، انتشار الإسلام، ص٥١، ٥٢، أمين، تطور العلاقات، ص٤٧؛ العرب والدعوة، ص٢٠٥؛ الشيخلي، العلاقات التجارية، ص٣٤٢؛ المالكي، دور العرب، ص١٢٨؛ بن جريس، الهجرات العربية، ص ص ١٦ - ١٧؛ عبد الحليم، العروبه، ص٥٠.

(٤) النقيرة، انتشار الإسلام، ص٥٢؛ أمين، تطور العلاقات، ص٤٧؛ المالكي، دور العرب، ص١٢٨.

٣- هجرة الزيدية[١]. (١٢٢هـ/٧٤٠م):

من أشهر الهجرات التي حدثت في أواخر عهد الدولة الأموية، ففي عام ١٢٢هـ/٧٤٠م وفدت إلى ساحل شرق أفريقيا هجرة زيدية من اليمن، وكانت هذه الهجرة لأسباب دينية إذ ثار زيد بن على حفيد الحسين بن على بن أبي طالب على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، فوقعت معارك دموية بين الأمويين والزيديين، انتهت بمقتل زيد بن على، وفرار جماعة من أتباعه إلى الساحل الأفريقي الشرقي فاستقروا عند ساحل بنادر (الصومال الجنوبي) وذلك في منطقة شنجوايا (Shingwaya) بالقرب من مقديشيو[٢].

وأتت هجرات أخرى من الزيدية واتسع ملكهم حتى ضموا منطقة مقديشيو، فكونوا لهم دولة استمرت ردحاً من الزمان، نجحت في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية بين السكان المحليين[٣].

٤- هجرة بني مخزوم (١٥٠هـ/٧٦٧م):

نزلت على مقديشيو في عام (١٥٠هـ/٧٦٧م) قبيلة مخزومية ينتسب إليها الشيخ عبد العزيز بن محمد بن أبي بكر المخزومي، صاحب المنارة الطويلة في مقديشيو[٤].

٥- هجرة الإخوة السبعة من بني الحارث من الإحساء (٣٠١هـ/٩١٣م[٥]):

ففي أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي خرج من إقليم الإحساء، أو من مدينة مجاورة له على الخليج العربي، بضواحي البحرين، جماعة عربية سنية المذهب تحت قيادة سبعة أخوة في ثلاث سفن، هبطوا الساحل الشرقي عند شاطئ بنادر، واستطاعوا غزو الشريط الساحلي

---

(١) الزيديه هم أتباع الإمام زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبي طالب. (عبد الحليم، العروبه، ص٥٢).

(٢) أمين، تطور العلاقات، ص٤٧؛ الحويري، ساحل، ص٢٢.

(٣) ابن جريس، الهجرات العربية، ص١٩؛ عبد الحليم، العروبة، ص ٥٢.

(٤) ابن جريس، الهجرات العربية، ص ٢٠.

(٥) جدير بالذكر أن هناك اختلاف بين المؤرخين في تاريخ هذه الهجرة. وعن هذه الآراء أنظر (زكي، الإسلام، ص٣٩؛ أمين، تطور العلاقات، ص٤٨؛ الحويري، ساحل، ص٢٣؛ الشيخلي، العلاقات التجارية، ص٣٤٣؛ المالكي، دور العرب، ص١٢٩؛ بن جريس، الهجرات العربية، ص٢٢؛ عبد الحليم، العروبة، ص٥٣؛ الحداد، النقوش الآثارية، ص١٣٤).

كله حتى ممبسة جنوباً خلال وقت قصير وأجبروا الزيدية الذين كانوا يسيطرون على هذه المنطقة على الانسحاب للداخل حول أودية نهري جوبا وشبيلي حيث عرفوا هناك باسم (إموزيديج) التي تعني أمة زيدية[١]. ويعود سبب هذه الهجرة إلى ذلك الصراع الذي نشب بين الخلافة العباسية وبين القرامطة حكام البحرين ومنطقة الإحساء منذ أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، فقد كان بنو الحارث مؤيدين للخلافة العباسية وموالين لها لأنهم على المذهب السني، بينما كان القرامطة شيعة، لذلك اضطهدوا الحرث وأجبروهم على النزوح من بلادهم، فهاجر هؤلاء إلى بلاد الزنج بنية إقامة وطن لهم هناك مقتفين أثر سعيد وسليمان الجلندانيين[٢].

وعلى أية حال فإنه يمكننا القول بأن وصول هجرة الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر قد تركت آثار بعيدة المدى في تاريخ المنطقة على مدى قرنين من الزمان، فإليهم يرجع الفضل في تأسيس مشيخة مقديشيو التي تزعمت الساحل الشرقي لأفريقيا لفترة طويلة، كما يرجع إليهم الفضل في تأسيس مدينة براوة[٣]. وكان لاتساع نفوذ مقديشيو أن حدث ترابط بين العرب والصوماليين، حيث عقدت اتفاقية خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بين عناصر السكان المختلفة، نصت على تكوين اتحاد على صورة مجلس من الأشراف وأعيان القبائل للنظر في أمور البلاد وحفظ الأمن وتطبيق العدالة وقد تم هذا الاتحاد بعد أن أصبحت مقديشيو عاصمة لساحل بنادر[٤].

فضلاً عن ذلك فقد ترتب على وصول هجرة الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر انسحاب الهجرة الزيدية السابقة عليهم بسبب الاختلاف المذهبي إلى الداخل، فكانت فرصة طيبة لحركة الاندماج والانصهار في الشعب الصومالي، فعلى مر السنين تزاوج الزيدية مع الصوماليين، وامتزجت دماؤهم "الأموزيديج"[٥].

معابر الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا:

---

(١) أمين، تطور العلاقات، ص٤٨؛ العرب والدعوة، ص٢٠٧؛ الحويري، ساحل، ص ص٢٣ – ٢٤؛ بن جريس، الهجرات العربية، ص٢٢؛ عبد الحليم، العروبة، ص ص٥٢ – ٥٣.

(٢) عبد الحليم، العروبة، ص٥٣.

(٣) أمين، العرب والدعوة، ص٢٠٧.

(٤) أمين، تطور العلاقات، ص٤٨.

(٥) أمين، العرب والدعوة، ص٢٠٧، ٢٠٨.